



هل السلام من مصلحة اسرائيل ؟

هذا سؤال لإبد بكل العقلانية والهدوء أن نجد له اجابة شافية ودقيقة ، تسمح لنا بأن نقيس مدى جدية اسرائيل في انتهاز فرصة السلام التاريخية التي أتاحتها الرئيس السادات بمبادرته ، وفي فهم ما هو عارض في التحركات الاسرائيلية الاخيرة بقصد المساومة قبل الدخول في مفاوضات ، وما هو حقيقي أو تابع من اعتبارات يمكن فهمها بسبب وضع اسرائيل الفريد والطارىء في جسم الامة العربية .

والتأمل لتاريخ قيام اسرائيل سوف يجد أنها نمت وترعرعت أشد ما يكون النمو والازدهار والتوسع ، في أكثر الظروف الدولية اضطرابا وثورتا . وأن جيلها من الرواد الأوائل الذي ما زال يمسك بناصية الحكم ويمكث توجيهه واتخاذ القرار ، سواء من الحكومة أو المعارضة ، — وبما في ذلك مناخهم يجنب نفسه — هو جيل نشأ في ظل شعور بالخوف الداخلي ، والتأمر الخارجي ، والعداء الشديد لكل ما هو ليس يهودى والاستفادة بالتناقضات الدولية من ناحية ، وبحيرة البحث عن الذات في العالم العربي من ناحية أخرى .

حصلت اسرائيل على وعد بلفور بالوطن القومي لليهود بعد الحرب العالمية الاولى . ودخل مهاجروما الى فلسطين بأعداد ضخمة تحت ستار من دخان معارك الحرب العالمية الثانية ، وانزعت شهادة ميلادها من الامم المتحدة في أعقاب ذلك . ثم اتسعت اسرائيل وتفاقت عندما اشتدت الحرب الباردة وبلغ الصراع على النفوذ والقواعد الاجنبية ذروته بين أمريكا والاتحاد السوفيتي .

وكان منطقيا وسط بحر العداء الذي يحيط باسرائيل كجسم غريب في الوطن العربي ، أن ينحصر تفكير الطبقة الحاكمة والقوى السياسية فيها ، في تنفيذية مشاعر النفوق كتسعين مختار من الصفوة المضطهدة في أوروبا . ومشاعر النفوق غالبا ما تلقى الاحساس بالامن والحاجة اليه ، وتموض الفرد والجماعة عن الاحساس بالرفض والكراهية ، وتبرير العدوان والاعتصام والتوسع . وبهذه الطريقة بقيت عيون الشعب الاسرائيلي غائمة ، عمياء من الاحساس بالحاجة الى السلام ، لان السلام في حقيقته حالة نفسية قبل أن تكون تعبيراً خارجياً



وكان طبيعياً أن تبقى القيادات الإسرائيلية بحكوماتها المتعاقبة على هذا الإحساس بالتوتر الداخلى والتسوق الخارجى ، بكل الأساليب الممكنة - دعائية وعسكرية - لإقامة الكيان الإسرائيلى وتدعيمه . وانعكس ذلك كله فى نمط من التفكير السياسى ، الذى لم يفكر يوماً فى حدود واضحة وثابتة لإسرائيل ، ولم يفكر يوماً فى مبادرة حقيقية للسلام . والذى ينعكس اليوم بصورة واضحة فى الإستجابات المغلوطة والمغالطة لبيجين وديان . حين أثار أن يجدا نفسيهما مع العناصر المضللة من الشعب الإسرائيلى الذى شجعت الحكومات الإسرائيليه المتعاقبة على الإقامة فى مستعمرات خارج إسرائيل .

إن زوايا الجدل التى يثيرها قادة إسرائيل حول المسعمرات المقامة فى الأرض العربية ، والتعلل بالخوف من قيام دولة فلسطينية ، تكشف عن أن الطبقة الحالية من حكام إسرائيل - على عكس ما يظهره الشعب الإسرائيلى نفسه - باتت تخشى السلام كلما اقتربت أسبابه منهم . وهو ما يرجع صحة الرأى القائل بأن بقاء دولة إسرائيل رهن باستمرار جو العداء والتوتر من حولها ، وأن سيادة السلام فى المنطقة يهدد بانهارها .

ولقد يكون هذا هو رأى بيجين ومن معه . فكل الشواهد تؤكد أن خوف حكام إسرائيل من السلام لا يعدل خوفهم من الحرب ، وأن براعة العبقرية اليهودية فى اكتساب الكراهية أقوى من براعتها فى إشاعة السلام والامن . غير أن مبادرة السلام التى خاطر بها السادات ، والتى قد تذهب فى التاريخ اليهودى كسابقة فريدة من نوعها ، سوف تشق مسارها فى ضمير الشعب الإسرائيلى . ولربما كان الإصرار على السلام العادل الذى تنهج مصر طريقه فى الوقت الحاضر هو أخطر سلاح يواجهه حكام إسرائيل منذ نشأتها . فاما أن يتغيروا هم أو تتغير دولة إسرائيل بكاملها . . لأن من يرضى اغتصاب الحقوق تضعح حقوقه كما تقول النوراة .

سلامة أحمد سلامة